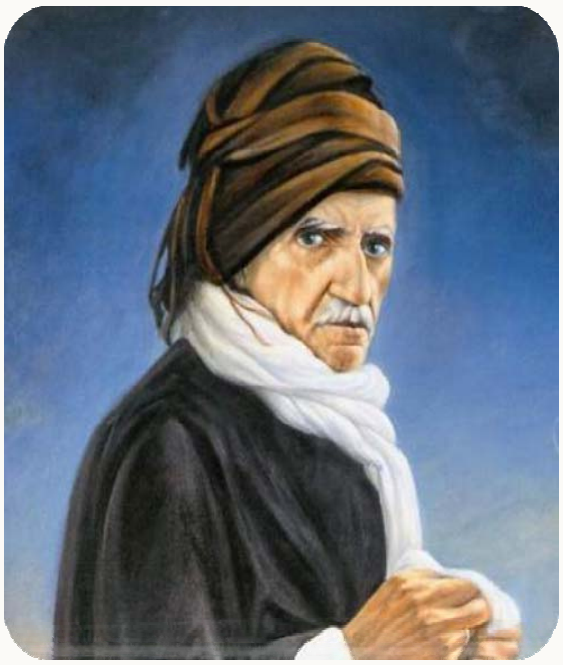

قراءة في الأنساق المنهجية لنظريات سعيد النورسي حول قيم الشفقة والتعاون وكيفية توظيفها في خدمة المجتمعات المعاصرة

أ. د. إبراهيم القادري بوتشيش

أستاذ التاريخ الإسلامي
كلية الآداب – جامعة مولاي إسماعيل
مكناس – المملكة المغربية

الاستشهاد المرجعي بالدراسة:

إبراهيم القادري بوتشيش، قراءة في الأنساق المنهجية لنظريات سعيد النورسي حول قيم الشفقة والتعاون وكيفية توظيفها في خدمة المجتمعات المعاصرة.- دورية كان التاريخية.- العدد العشرون؛ يونيو ٢٠١٣. ص ٣٩ – ٤٧.

www.kanhistorique.org ISSN: 2090 - 0449

كان التاريخية: رقمية الموطن .. عربية الهوية .. عالمية الأداء

مُلَخّص

تصبو هذه الدراسة إلى إلقاء الضوء على نماذج من القيم الإنسانية التي تنبث في مؤلفات المفكر التركي سعيد النورسي، واستخلاص الأنساق المنهجية التي تؤطر نظرياته، خاصةً ما يتعلق بقيم الشفقة والتعاون والتآزر التي تروم بناء مجتمع محلي وعالمي متماسك ومتضامن، مع البحث في إمكانية توظيفها لخدمة المجتمعات المعاصرة، وإزالة ما يعتريها من قلق وتذمر، وما يطبع مشاهدها من خلل وشرخ. وقد كشف البحث عن ثلاثة أنساق تشكل المرجعية التي تأسست عليها قيم التراحم والتعاون والتآزر: **النسق الإيماني**؛ الذي ارتبط بمرحلة من مراحل حياة سعيد النورسي، وهي المرحلة التي اندمجت روحه خلالها بمسلك التفكر والتأمل في بعديهما الإيماني، وأنتجت ما يعرف بـ "سعيد الجديد" صاحب النظريات والقيم. **النسق التكاملي**؛ الذي تولدت منه نظريات سعيد النورسي حول قيم الشفقة والتعاون من خلال وحدة تكاملية تشكلت عناصرها عبر دوائر متصلة من التوحيد والتوازن الكوني والرحمة الإلهية وفطرة الإنسان، ومسؤوليته في حل النزاعات عن طريق التآزر والتضامن. **النسق الدعوي**؛ الذي يعتبر امتدادًا لمرحلة التفكر في قيم الشفقة والتراحم والتعاون، حيث تنتقل تلك القيم في هذا النسق من مجرد أطروحات للتفكير إلى منهج للدعوة وأسلوب في الممارسة ينطلق من التحذير من مجانبة التعاون، إلى التحفيز عليه لإقامة مجتمع متعايش ومتضامن. كما يقوم هذا المنهج على التفسير والتشخيص بالأمثلة والنماذج، ليصل إلى مرحلة الممارسة في توظيف تلك القيم توظيفًا عقلانيًا لخدمة المجتمعات البشرية في الزمن الراهن.

مُقَدِّمَة

تختزن رسائل النور جملة من القيم الحضارية التي تسعى إلى تأثيث فضاء عالمي خال من الصراعات والنزاعات، قائم على مبدأ التضامن والتآزر، لذلك أولى مؤلفها بديع الزمان سعيد النورسي عناية فائقة لقيم الشفقة والرحمة والتعاون باعتبارها قيما إنسانية تروم بناء مجتمع متماسك ومتضامن، فجعلها محورًا في تحليلاته، وعلامات دالة في رسائله؛ وحسبنا أنه اعتبر الشفقة حجر الزاوية في مسالك فكره،[١] وإحدى الأسس الأربعة التي تمحورت حولها رسائله.[٢] وفي ذات الوقت جعل من التعاون نقطة مركزية في تحليلاته لواقع الأمة الإسلامية حتى أنه عدّ جهل المسلمين بالروابط والعلائق الإنسانية -في إشارة إلى انعدام التعاون بينهم- من أكبر الأمراض التي تعصف بهم،[٣] وفي ذلك علامة دالة على ما يوليه لقيمة التعاون من أهمية قصوى.

وإذا كان اهتمام الرسائل النورية بقيم الشفقة والرحمة والتعاون مسألة لا يرقى إليها الشك كما سنثبت في متون هذه الدراسة، فما علاقة تلك القيم بالاختلالات التي تعرفها المجتمعات الإنسانية المعاصرة، وهل لها من دور في إعادة التوازن لتلك المجتمعات، وما هي الأنساق المنهجية التي يدعو الإمام النورسي

دورية إلكترونية .مُحكّمة .ربع سنوية ISSN: 2090 – 0449

لتسير على هديها تلك القيم، حتى تكون في خدمة الإنسان المعاصر الذي يعتريه القلق، ويحدق به اليأس، ويفتقر إلى أبسط ذرة من الأمل؟

ثمة نص استوقفني وأنا أحاول الإجابة عن هذه التساؤلات المركزية التي تشكل أطروحات هذا البحث، يقول فيه الإمام النورسي: "نعم إن كل إنسان في الوقت الحاضر على الكرة الأرضية قاطبة له نصيبه من المصائب الجارية إما قلبًا، أو روحًا، أو عقلاً، أو بدنًا، ويعاني من العذاب والرهق ما يعاني".[٤] وهو نصّ لا تخطئ العين السليمة في إدراك البعد الذي يرمي إليه صاحبه من خلال تقديم مشهد المعاناة التي تئن تحت وطأتها البشرية، معاناة لا تعزى لمشاكل مادية تندرج تحت يافطة الفقر والتخلف والمرض فحسب، بل تحيل أيضًا إلى تراكم مجموعة من المشاكل النفسية والروحية والوجدانية التي لم يسلم منها الإنسان في أي مجتمع مهما علت مرتبته في سلم الحضارة والتكنولوجيا، فالخطاب النوري خطاب كلي بكل المقاييس،[٥] ومن هنا جاءت دعوته الشمولية لإعادة بناء القيم الإنسانية ومعالجة اختلالاتها في دائرتها الكونية التي أفرزتها الظرفية العالمية. ولا غرو فالرسائل النورية هي بتعبير النورسي نفسه "ضمان لجروح هذا الزمان"،[٦] وحصن ضروري "في هذا العصر كضرورة الخبز والدواء".[٧] بل بالنظر إلى تردي القيم العالمية، وما يتمخض عن ذلك من فوضى وتطرف وانعدام أمني، فإن رسائل النور تقدم مشروعًا فكريًا إنقاذيًا يستهدف "إنقاذ النظام والأمن والحياة الاجتماعية من الفوضى والإرهاب".[٨]

وقد لفت انتباهي وأنا بصدد تأمل هذه الرسائل والتقاط دررها، نص يحمل شحنة قوية من الحكمة وقدرًا عظيمًا من رجاحة الرأي، ما جعلني أختار قيم الشفقة والرحمة والتعاون كموضوع لهذه الدراسة المتواضعة، يقول النورسي: "إن خدمتنا تؤسس الأمن والاحترام والرحمة".[٩] وإذا وضعنا في عين الاعتبار ما تحمله هذه العناصر الثلاث (الأمن- الاحترام - الرحمة) من أهمية في بناء نظام عالمي يجنح نحو السلم والتعاون والتعاضد والتراحم، أمكن إدراك سرّ هذه المقولة المشبعة بقبس الحكمة وحصافة الرأي، لذلك سنسعى في هذا البحث إلى الوقوف مليًا عند قيم الشفقة والتعاون، وتشريح مفاهيمها كما وردت عند الإمام النورسي، ورصد دورها في خدمة المجتمعات المعاصرة، وتبيان الأنساق المنهجية التي عالج من خلالها تلك القيم، والتي يمكن تصنيفها في ثلاثة أنساق: النسق الإيماني، النسق التكاملي، ثم النسق الدعوي التطبيقي.

أولاً: النسق الإيماني لقيم الشفقة والتعاون في فكر بديع الزمان النورسي

لا يتأتى إدراك النسق الإيماني الذي تأسست من خلاله نظريات الإمام النورسي، وهو يتأمل فكريًا ووجدانيًا قيم الشفقة والتعاون إلا إذا أدركنا أن بلورتها فكريًا ارتبط عنده بمرحلة إيمانية عميقة الغور من مراحل حياته، مرحلة نحتت في وجدانه أخاديد بعيدة عن السطح والقشور، ملامسة قعر اللب والحكمة، إنها مرحلة (سعيد الجديد) التي اندمجت روحه خلالها بـ (مسلك التفكر)، ذلك المسلك الذي أتاح له تعميق معول الحفر والنبش عن الحقائق الإيمانية وتدبرها، فتوصل إلى قاعدة علمية جوهرية خلاصتها أن (تفكر ساعة خير من عبادة سنة).[١٠] ولا شك أن ربط تأسيس النظرية النورية حول قيم الشفقة والتعاون بسياقاتها وظرفيتها النفسية والعلمية يكشف عن عمقها التأملي، وصلابة عودها الفكري، وأحسب أنها جاءت في أوج العطاء الإيماني لبديع الزمان، أي في مرحلة النضج الفكري والذروة الإيمانية، فأين يكمن التجلي الإيماني في تلك القيم ؟

١/١- التجلي الإيماني في نظرية الشفقة عند بديع الزمان:

يبرز المرتكز الإيماني في نظرية الشفقة عند بديع الزمان النورسي في استيحاء صاحبها معالم تلك النظرية من المرجعية القرآنية، وهو ما تعكسه إحالاته على قصص القرآن الكريم التي تفيض بدروس الرحمة والشفقة كقصة النبي يوسف عليه السلام،[١١] أو على بلاغة النص القرآني في تبيان درجة رحمة الله الواسعة وشفقته العظيمة على عامة الناس الذين يتميزون ببساطة عقولهم. فقد فطن إلى شفقة القرآن ورحمته بهذا النوع من الناس من ذوي الأفهام المحدودة من خلال ورود آيات واضحة وبسيطة، مع تكرارها أحيانًا تسهيلاً لفهمهم وإدراكهم، فالتيسير والتبسيط والتكرار هو في تصور النورسي رحمة إلهية وشفقة على عباده.[١٢] كما تبرز المرجعية القرآنية لمفهوم الشفقة في تحليلاته أيضًا بالقول الصريح، وهو ما أبان عنه بوضوح في السيرة الذاتية حين قال: (وقد استفدت من فيض القرآن الكريم – بالرغم من فهمي القاصر – طريقًا قصيرًا وسبيلاً سويًا هو طريق العجز والفقر، الشفقة، التفكر).[١٣]

وإذا أضفنا إلى ذلك؛ أن كل نفحات رسائل النور وما تحويه من نظريات وأفكار تستقي أصولها من القرآن الكريم، وأنها "لا أستاذ لها إلا القرآن ولا ترجع إلا إلى القرآن"،[١٤] حسب كلمات النورسي نفسه، أدركنا البعد الإيماني في نظرية الشفقة والرحمة التي أثار بصددها الكثير من الغبار ليجعلها نظرية متناسقة متكاملة وفي خدمة المجتمعات. ومن الدلائل على وجود الأساس الإيماني في تلك النظرية الخاصة بقيمة الشفقة كقيمة حضارية، أن النورسي اعتبرها ألطف أنواع الرحمة الإلهية،[١٥] وجزءًا من العبودية والافتقار إلى الله، مبرهنًا على ذلك بقوله: "فلقد وجدت أن أهم وسيلة للوصول إلى هذين النورين العظيمين يكمن في الفقر مع الشكر، والعجز مع الشفقة، أي بتعبير آخر العبودية والافتقار"،[١٦] لذلك فالشفقة عنده أقصر طريق للوصول إلى الله، طريق لا يتعدى أربع خطوات وهي العجز والفقر والتفكر والشفقة، وكلها خطوات تسمح بتسليم النفس مباشرةً إلى خالقها دون تكلف أو مزاعم فوق طاقتها.[١٧]

دورية إلكترونية .مُحكّمة .ربع سنوية ISSN: 2090 – 0449

وبالمثل ينطلق بديع الزمان في تحليلاته لقيم الشفقة من مبدأ الخير والفضيلة الذي هو مبدأ إيماني بامتياز، ويبشر بانتصار قيم الحق والمساواة في مستقبل البشرية، والتكريم الإلهي للإنسان،[١٨] وهو التكريم الذي يجد مصدره في القرآن الكريم.[١٩] ومن اللافت للانتباه أيضًا؛ أن بديع الزمان النورسي وهو بصدد تحليل مفهوم الشفقة، يميز تمييزًا دقيقًا بينها وبين العشق، فالعشق المجازي أو الدنيوي ينقلب إلى عشق حقيقي عندما يوصل صاحبه إلى الله، لكن ذلك يتم بطريق وعر لوجود صعوبات ومشكلات متعلقة بالمنهج الإيماني والاعتقادي، على عكس الشفقة التي هي طريق ميسر وسهل لأنها "تربط القلب بالله سبحانه ليوصل صاحبه إلى الله جلّ وعلا بأقصر طريق وأصفى شكل"،[٢٠] بل ويبلغ أقصى درجات الحب لله عندما يصل اسم الله الرحيم الدال على الرحمة الإلهية.

وفي المنحى الإيماني ذاته، سعى النورسي إلى ربط هذا الطريق- طريق الشفقة الموصلة إلى الله – بأصول الشريعة الإسلامية، وذلك عندما ميّز بين الشفقة والعشق عند أهل الخفاء – ويقصد بهم أهل التصوف- وبين الشفقة والعشق عند أهل الحقيقة الشرعية، فهي عند الفريق الثاني تستند إلى السنة النبوية والعمل بالفرائض والاعتدال وعدم التطرف.[٢١] وللدفاع عن أطروحته حول اعتدال طريق أهل الحقيقة الشرعية في الشفقة، يبين أن هذا الطريق لا يعدم الكائنات كما يفعل ذلك المتطرفون من أهل (وحدة الوجود)، أو يسجنها كما يفعل أهل (وحدة الشهود)، بل إن أصحاب هذا الطريق ينهجون طريق القرآن الذي ينظر إلى الكائنات على أنها مسخرة لفاطرها الجليل وخادمة لسبيله.[٢٢]

وبالمثل، يتجسد البعد الإيماني لمفهوم الشفقة في منظور النورسي من خلال جعل الشفقة قيمة حضارية مناقضة للظلم كما نصّ على ذلك القرآن الكريم،([٢٣]) فالظلم عند النورسي – كما في القرآن - نقيض للرحمة،[٢٤] والشفقة عنده هي (عدم التلوث بظلم الآخرين). كما أن المسؤولية الجنائية التي حددها الله تعالى في قوله (وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ)،[٢٥] جعلت النورسي يستخلص أن انعدام الشفقة والرحمة في حق من لم يرتكب جريرة، ويؤخذ بجريرة غيره فيه تجاوز للرحمة الإلهية، ومخالفة صريحة للنص القرآني. يقول مؤكدًا هذا المعنى: "إن إذلال والدين عجوزين لمن ارتكب خطئًا وتشريد أطفالهما الصغار، ودفعهم إلى هاوية الفقر والذل ومعاداتهم بالانحياز إلى جهة ما، مناف كليًا لأساس الشفقة على الخلق".[٢٦]

من ناحية أخرى؛ يبرز الاجتهاد الفقهي للإمام النورسي في استنباط مفهوم الشفقة وتعيين مرتبتها من خلال تباين رأيه مع العلماء، بما فيهم أستاذه الذي اختلف معه في مصدر المشاعر والأحاسيس التي غمرت نفس النبي يعقوب تجاه يوسف عليهما السلام، فقد فسّر تلك المشاعر أنها نابعة من الشفقة، عكس ما ذهب عليه أستاذه من كونها نابعة من المحبة والعشق، فالشفقة عند النورسي أعمق من المحبة والعشق، وأعلى منزلة وأليق بمقام النبوة، ووسيلة للوصول إلى اسم (الرحيم)، بينما العشق طريق للوصول إلى اسم (الودود)، الذي يعكسه نموذج محبة امرأة العزيز ليوسف عليه السلام.[٢٧]

وفي سبيل تمييز الشفقة عن المحبة والعشق، وبطرق حجاجية إقناعيه، ذهب النورسي إلى أن مجال الشفقة مجال شاسع، في حين أن نظيره في المحبة والعشق ضيق، مجسدًا ذلك من خلال نماذج توضيحية، فالأب الذي يشفق على أبنائه، يشفق أيضًا على جميع الأطفال من غير أبنائه، لأن شفقته مرتبطة بعالم الأطفال، بينما يضيق مجال العشق لينحصر في المحبوب فحسب، بل إن هذا المحب لا يتورع عن ذمّ الآخرين رفعة لشأن محبوبه، لذلك فالشفقة عند النورسي أعلى مرتبة من المحبة بمائة درجة.[٢٨] مع ذلك فإن المحبة والعشق، تشكل طريقًا نحو الشفقة، لأنها تقف على خط تعارض صريح مع العداوة التي تدمّر العلاقات الإنسانية، لذلك فإنها تتجاوز روح العداء (فإذا وجدت المحبة بحقيقتها في القلب، فإن العداوة تنقلب حينئذ إلى الرأفة والشفقة).[٢٩]

من خلال حصاد هذه النصوص الواردة في رسائل النور حول نظرية الشفقة يتبين بعدها الإيماني، فماذا عن الخلفية الإيمانية في مبدأ التعاون؟

٢/١- الخلفية الإيمانية في نظرية التعاون عند بديع الزمان:

تحضر الخلفية الإيمانية المستندة إلى المرجعية القرآنية والتأملات في الخلق والكون بقوة في فكر النورسي، فهو يرى في الآية الكريمة (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا)،[٣٠] بيانًا لدستور التعاون داخل المجتمع الإسلامي والدولي على السواء، ويفسر انقسام المجتمع البشري إلى قبائل وطوائف وشعوب بناءً على النص القرآني السالف الذكر بأنه دعوة "للتعارف والتعاون لا التناكر والتخاصم".[٣١] ويستند أيضًا في هذا المنحى الإيماني لمبدأ التعاون إلى الحديث الشريف القائل أن "الإسلام يهدم ما كان قبله"[٣٢] ويفسر ذلك بأنه رفض قاطع للقومية السلبية والفكر العنصري المقصي لكل أشكال التعاون مع الآخر.[٣٣]

وفي السياق ذاته – سياق البعد الإيماني في نظرية التعاون – يرى الأستاذ النورسي أن الإيمان ووحدة العقيدة يؤديان إلى توحيد قلوب المؤمنين وتضامن المجتمع وتضافر جهوده لإقرار روح التعاون. فالإيمان – من وجهة نظره- يشكل رافعة من روافع التعاون والتساند[٣٤]، و "يؤسس للأخوة في كل شيء"،[٣٥] ويوجّه القيم والعوائد والطباع بما يخدم الأخوة؛ فالإيمان الصادق يجعل المؤمن يرى في ألذّ أعدائه أخًا له، وبذلك تتأسس شبكة التواصل والتقارب والتفاعل والتساند، على عكس الكفر الذي يرسخ العداوة ويغرس قيم الأنانية وحب الذات، ضاربًا عرض الحائط بمبدأ التعاون.[٣٦]

لذلك لا عجب أن تنعكس الخلفية الإيمانية في أسلوب الدعوة لدى النورسي كلما أثار مسألة التعاون، فهو يعتمد في دعوته على

دورية إلكترونية، مُحكّمة، ربع سنوية ISSN: 2090 – 0449

الآيات القرآنية التي تنهى عن الخلاف وتأمر بالتعاون والتآزر، مصداق ذلك قوله رحمه الله: "وامتثلوا بما تأمركم به مئات الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة من التآخي والتحابب والتعاون".[٣٧]

وفي قراءته لمفهوم التعاون، ينطلق بديع الزمان من تأملاته الكونية الإيمانية التي جعلته يقتنع بأن النظام الكوني البديع الذي أبدعته الذات الإلهية، يقوم على مبدأ التعاون والتكامل الذي يسري بين كافة مجرات الكون، بين الشمس والقمر، بين الليل والنهار، والصيف والشتاء. كما أن النباتات تسعى بدورها في هذا النظام التعاوني إلى تزويد الحيوانات بما تحمله أرزاقها من خزائن الرحمة. والحيوانات بدورها تكون في خدمة البشر بما تزود به الإنسان من لحوم وألبان، فضلاً عن استثمارها كوسائل للنقل، بل إن أصغر الحيوانات والحشرات كالنحل والدود تمد الإنسان بالعسل والحرير، وتزوده بالمواد لتغذية حجيرات البدن.[٣٨] وهكذا؛ في ظل هذا النظام الكوني البديع، تتعاون كل الكائنات والمخلوقات لإمداد بعضها البعض بما يحفظ لها ماء الحياة، ويؤدي إلى قوتها، ومن ثَمَّ تتضح المرجعية الإيمانية لفكرة التعاون التي استقاها النورسي من تأملاته في الكون، والتي تجد مصدرها في القرآن الكريم.

من جهة أخرى؛ يلاحظ أن النورسي في تحليله لمبدأ التعاون من منظور إيماني ينطلق من مبدأ الخير الذي هو هدف التعاون، كما هو أيضًا مبدأ إيماني في المقام الأول، فالخير عند بديع الزمان هو أصل العالم وهو كلي، بينما الشر تبعي وجزئي،[٣٩] ولذلك فالأصل – من منطلق إيماني – هو الذي ينتصر كما ينتصر الكلي على الجزئي، وبما أن الإيمان يسعى لخير الإنسان، فالتعاون إذن رهن بهذا الخير ومقصده أولاً وأخيرًا. نستنتج مما سلف؛ أن قيم الشفقة والتعاون والرحمة في رسائل النور تستمد أصولها من القرآن الكريم، مما جعلها تشكل نسقًا إيمانيًا متكامل الجوانب.

ثانيًا: النسق التكاملي

جاءت قراءة النورسي لقيم الشفقة والتعاون في إطار وحدة تكاملية تتشكل عناصرها من الرحمة الإلهية، ومن التوحيد والتوازن الكوني، ومن فطرة الإنسان وضعفه وحقه في الحياة، ومسؤوليته في حلّ مشاكل العالم عن طريق التآزر والتعاون. إن تفحص رسائل النور تكشف أن العالم تتداوله عوامل التخريب والتعمير معًا، وتشبهه بمملكة واسعة تغلي باستمرار من شدة الحروب، بيد أن ميزانًا حساسًا يعمل بكثير من الحكمة ليعيد التوازن للعالم الذي خلقه بفضل الرحمة الإلهية.[٤٠] وتثبت تلك الرسائل أيضًا أن التوحيد الإلهي يؤدي بدوره إلى علاقة التكامل بين قيم الشفقة والتعاون، إذ أن العالم بجميع أشكاله من طبقات الغيب والشهادة، يشهد بالتوحيد، مما يقتضي التساند والتعاون بين أجزائه وأعضائه على شكل رحمة إلهية ورأفة وشفقة تجعل كل جزء من هذه الأجزاء يمد بعضه البعض بما يضمن له بقاء نبض الحياة.[٤١]

أما الإنسان الذي هو موضوع الشفقة والتعاون، فإن الله أكرمه بحق الحياة باعتباره حامل الأمانة وخليفة الله في الأرض، فجعل حقه في العيش وليد رحمته الإلهية.[٤٢] وبما أنه خلق ضعيفًا حسب الحكمة الإلهية، فإن ضعفه يشكل علامة تكاملية بين الشفقة والتعاون، لأن الضعيف في حاجة للغير حتى ينتصر على ضعفه ووهنه، وهي فكرة استقاها النورسي من القرآن الكريم،[٤٣] وجسدها بنموذج يفصح عن عجز الإنسان وضعفه حتى أمام الحيوان في تحصيل رزقه، مما يستلزم إشاعة الشفقة بين المخلوقات والكائنات وخلق روح التعاون بينهم لتجاوز حالة الضعف.[٤٤]

بيد أن الإمام النورسي يضع النقاط على الحروف حول دور الإنسان ومسؤولياته في تجاوز مشاكل العالم وأزماته الأخلاقية رغم ضعفه الفطري. يقول في هذا الصدد: "اعلم أن مفاتيح العالم في يد الإنسان وفي نفسه، فالكائنات مع أنها مفتحة الأبواب منغلقة، فالحق سبحانه أودع من جهة الأمانة في الإنسان مفتاحًا يفتح به كل أبواب العالم".[٤٥] ومن خلال مسالك تحليله لعلاقة الإنسان بالعالم ودور الشفقة والتعاون في صياغة دائرة من الخطوط المتكاملة يقرر:

- أن الشفقة هي جوهر إنسانية الإنسان، حيث أن كل مؤمن يستطيع أن يكون بنور القرآن والإيمان سعيدًا بسعادة جميع الموجودات وسلامتها، فيتلذذ بسعادتها ويتألم بمصائبها،[٤٦] وهو كلام يوحي بوجود علاقة بين الأنا والغير، وحضور الشفقة والتعاون بين الطرفين في السراء والضراء.
- أن كل غفلة عن الرحمة الإلهية تؤدي إلى معاناة الإنسان، فالمنحرفون عن الرحمة الإلهية في منظور النورسي (يتعذبون بالآلام الرهيبة المفجعة التي تعانيها البشرية في الوقت الحاضر)،[٤٧] وهي مقولة تؤكد مسؤولية الإنسان في الخلل الذي يعصر بالقيم بسبب ابتعاد الإنسان عن الرحمة الإلهية،[٤٨] وتحول دون إشاعة التعاون، وهو ما ينهض دليلاً على التكامل بين قيم الشفقة والتعاون، حتى أن بديع الزمان سمى الرحمة الإلهية بـ "التعاون العلوي" كعلامة دالة على هذا التكامل الذي يجعل الإنسان عندما يمزج بين الشفقة والتعاون يرتقي في معراج القيم (من أدنى سافلي الحقارة والصغر والعجز، إلى أعلى عليي الخلافة وحمل الأمانة وقابلية المكرمة بتسخير السموات والأرض له).[٤٩]

وبفحص تأملات بديع الزمان ونظرياته، يتضح أنه توصل إلى أن علاج الاختلالات التي يعرفها العالم يصب في اتجاه إشاعة الشفقة والتعاون معًا في سياق هذا التكامل. مصداق ذلك أنه لخص أمراض العصر في ستة وهي: اليأس وانعدام الصدق والعداوة والأنانية والاستبداد والجهل بالروابط التي تجعل العداء بين المؤمنين،[٥٠] وكلها أمراض لا تنتج إلا في بيئة تنعدم فيها الشفقة والتعاون كما سنبيّن في تحليل المحور الموالي. لذلك ليس من قبيل

دورية إلكترونية، مُحكّمة، ربع سنوية
ISSN: 2090 – 0449

الصدفة أن يستعمل النورسي مصطلحي الشفقة والتساند بشكل مترادف في عدة مواضع من رسائله كما هو وارد في مقولته التالية: "فتجاه هذا الأمر، ليكن كل منكم مسليًا لكل من أولئك، وقدوة حسنة له في الصبر والأخلاق، وأخا شفيقًا عليه في التساند واللطف".[٥١] بل إنه أبرز التكامل التام بين الشفقة والتعاون عندما أوضح أن أجزاء الكون المتعاونة مثل النبات والأحجار والشمس والقمر والسحب رغم أنها لا تملك شعور وأحاسيس الشفقة، فإنها تشفق عندما يمد كل عنصر من عناصر الكون بعضه البعض بأسباب الحياة والرزق في شكل حلقات من التعاون بين تلك الأجزاء، وهو ما يتجلى في قوله: "نعم لأن إظهار الأشياء المتعاونة – وهي جامدة بلا شعور ولا شفقة – أوضاعًا تنمّ عن الشفقة وتتسم بالشعور فيما بينها دليل وأي دليل على أنها تدفع دفعًا للإمداد والمعاونة، فتجري بقوة رب ذي جلال وبرحمة رحيم مطلق الرحمة".[٥٢]

حصيلة القول؛ أن رسائل النور تعالج قيم الشفقة والتعاون وفق منهج تكاملي جدلي، وترسم الإطار العلائقي بينهما خدمةً للإنسان.

ثالثا: نسق الدعوة وأسلوب التطبيق والممارسة

لا تمثل قيم الشفقة والتعاون في رسائل النور مجرد أطروحات للتفكير والتأمل، بل تقدم أيضًا منهجًا للدعوة وأسلوبًا ناجحًا في الممارسة والتطبيق، ومشروعًا تفاعليًا يروم ترسيخ هاتين القيمتين الحضاريتين في كيان المجتمع. ومن خلال تجميع ما ورد في رسائل النور حول موضوع الشفقة والتعاون، يتضح أن المنهج الدعوي النوري لتطبيقهما قد اتخذ ثلاث مسارات:

١/٣- مسار التحذير والتحفيز:

ينطلق منهج النورسي في دعوته للتعاون بإبراز سلبية الموقف المضاد (اللاتعاون وحالة الاختلاف)، وهي الحالة التي يسميها (المرض الفتاك)،[٥٣] فيبدأ دعوته بأسلوب التحذير من هذه الحالة السلبية، وما يمكن أن تخلفه من آثار سلبية على الجماعة، بل على المجتمعات، قبل أن يشرح مبدأ التعاون وآثاره الإيجابية. وهذه طريقة ناجحة في الوصول إلى قلب المتلقي، مستوحاة من أسلوب القرآن في الترهيب والترغيب. ويلاحظ أن دعوة النورسي هي دعوة موجهة لطائفة معينة من (أهل الحق)، و(أهل الشريعة والحقيقة والطريقة)، أو (مَنْ ينشدون الحق لأجل الحق)،[٥٤] وتمثل هذه الشرائح كل الديانات والأعراق البشرية لأن التعاون داخل فضاء أهل الحق يقوم على أهداف سليمة ورؤية ناضجة، عكس (أهل الباطل) الذين يتعاونون من أجل مصالح آنية ضيقة.

وفي سياق الدعوة الموجهة (لأهل الحق)، يشرح النورسي حالتهم، فيرى بعين ناقدة أنهم لا يشعرون بالحاجة لمعاونة الآخر لما تحمله نفوسهم من ثقة كبيرة بقوتهم، حتى وصلوا إلى حد التواكل والتسليم الذي أوقعهم في شراك الخلافات، لذلك دعاهم إلى الاتفاق والتعاون بناءً على الآيتين الكريمتين (وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ)،[٥٥] و(وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى)،[٥٦] وهما الآيتان اللتان دعا إلى جعلهما دستورين في الحياة الاجتماعية.[٥٧]

وقد وضع مؤلف رسائل النور معايير أخلاقية لإنجاح فكرة التعاون تقوم على:

- العفو والصفح.
- غضّ الطرف عن عيوب الآخر.
- عدم الجدال وتجنب النقاشات الداخلية.
- التآخي والمحبة والتآزر.[٥٨]

ويعتمد في دعوته على أسلوب الكشف والإفصاح عن قوة الشيء المدعو له، لذلك نجده في إحدى رسائل النور يدافع عن مبدأ التساند وأنه مصدر قوة المجتمع: "اعلموا يا إخوتي أن أهم أساس لقوتنا ونقطة استنادنا هي التساند"،[٥٩] كما يدعو إلى التواصل، معتبرًا أن (لقاء الأصدقاء ومجالسة الإخوان منبع شرّ السلوان)، خاصةً في زمن التحولات والمنعرجات الخطيرة والتقلبات التي تطرأ على حياة الإنسان، فقطع المسافات من أجل الصلة والتقارب لا تساوي قيمة الأموال التي ينفقها المرء في سبيل ذلك.[٦٠]

ويعتبر النورسي – في منهجه الدعوي – أن غرس قيمة التعاون تفتح الطريق أمام قيمة الشفقة، فإزاء وجود كمّ كبير من المرضى والفقراء والمعدمين، يوجه دعوته إلى أهل الحق: (ليكن كلّ منا مسليا لكل من أولئك، وقدوة حسنة له في الصبر والأخلاق، شفيقًا عليه في التساند واللطف).[٦١]

٢/٣- التفسير والتشخيص:

يستند الأسلوب الدعوي النوري لقيم الشفقة والتعاون على قاعدة التفسير والإقناع والتشخيص بالأمثلة والنماذج، حتى يكون وقعه مؤثرًا على المتلقي، ويبسط مفاهيمه للعوام. وحسبنا أنه جعل تفسير مغزى الشفقة والتعاون مطلبًا أساسيًا للتواصل مع المخاطب، فالتعاون في منظوره يحمل سرًا عجيبًا للإنسان، إذ كلما زاد اجتماع الأشياء وتلاحمها، كلما ازدادت حسنا وضياء ومتانة حتى أن الحجر يتقوس لمساعدة حجر آخر من أجل أن يتماسك ولا يتعرض للسقوط، ويبدو في التحامه مع الحجر الآخر في صورة جمالية،[٦٢] وهي صورة تشخيصية تكشف دون ريب عن عمق الأسلوب الدعوي النوري وتقريب أفكاره للجمهور.

ويقوم أسلوب النورسي الدعوي أيضًا على إظهار الصورة ونقيضها، فالتعاون في منظوره يروم إلغاء العداء الذي هو حسب تعبيره (سمّ زعاف لحياة البشرية قاطبة)،[٦٣] ومبدأ يرفضه الإسلام الذي يمثل روح الإنسانية الكبرى. ومقابل ذلك، يسعى إلى إقناع المخاطب عن طريق إبراز الصورة المناقضة مبرزًا أن الاختلاف ونبذ التعاون يولّد الضرر البليغ، ويفتح المجال أمام (أهل الضلالة ليبسطوا أيديهم على أهل الحق).[٦٤]

من جهة أخرى؛ يقوم أسلوب النورسي في دعوته للتعاون على أساس إقناع مخاطبيه، لذلك يستخدم الواقع المعاش كوسيلة للإقناع: فالزمن الذي نعيشه هو زمن التكتلات وليس زمن التجزئة

دورية إلكترونية، مُحكّمة، ربع سنوية
ISSN: 2090 – 0449

والتشرذم؛ إنه بتعبيره (زمن الجماعة)،[٦٥] وليس زمن الفرد. ويستميت في إقناعهم بقوله: (إن هذا الزمان – لأهل الحقيقة – زمان الجماعة، وليس زمان الشخصية الفردية وإظهار الفردية والأنانية، فالشخص المعنوي الناشئ من الجماعة ينفذ حكمه ويصمد تجاه الأعاصير).[٦٦] وبذلك يبدو أن الخطاب النوري الدعوي لا يترك أي مبرّر لمخاطبه لينفلت من دائرة التعاون، بحكم أنه مطلب إنساني، يؤدي إلى إسعاد البشرية والتغلب على مشاكلها.

وإمعانًا في التوضيح يسعى النورسي إلى تشخيص مقولاته عبر صور ونماذج حية هدفها التبسيط والقرب من مدارك المتلقي. وفي هذا السياق، تشخص رسائله المجتمع المتعاون كشجرة تحتوي على ثمرات، وكل ثمرة تربطها علاقة متينة مع كافة الثمرات الأخرى حتى تصبح في مقام (رابطة الأخوة والصداقة) حسب تعبيره، (ومتى قطفت ثمرة من تلك الثمار، فإن الباقية منها تصبح في حكم المعدوم ويعمها الظلام).[٦٧] كما يصور تماسك المجتمع المتعاون وقوته من خلال الأرقام، فكلما تباعدت الأرقام كلما ضعفت، وكلما اقتربت من بعضها البعض، ازدادت قوتها فرقم (١) إذا أضيف إليه رقم (١) يصبح (١١)، وإذا تفرق يصبح واحدا + واحد. وإذا انضم ثلاث منها، أصبح (١١١)، وهكذا كلما حصل التقارب بين الأرقام كلما أصبح يرمز للقوة، وكلما تباعدت أصبح يرمز للضعف.[٦٨]

أما بالنسبة لمنهج تفسير وتشخيص قيمة الشفقة، فيوضح النورسي كيفية اختلاف مفهومهما حتى بالنسبة للوالدين، وذلك من خلال سرد نموذج أحاسيس والدته التي كانت تتفجر بكاء كلما بلغ إلى مسامعها أن ابنها قد سجن أو ضرب، في الوقت الذي كان نفس الخبر يحدث افتخارًا وإعجابًا لدى والده. فعلى الرغم من أن مصدر الشفقة مشترك بين الأبوين، إلا أن شفقة الأب كان محقة أكثر من الأم.[٦٩] والراجح أن النورسي استهدف تشريح مفهوم الشفقة واختلافها بين الأبوين لإزالة اللبس الذي قد يلفت انتباه المتلقي ويقنعه بأن اختلاف الأحاسيس، لا ينفي أن مفهوم الشفقة يشكل نقطة تقاطع بين الطرفين رغم اختلاف أساليب التعبير عنها.

من جهة أخرى؛ تستند رسائل النور في تشخيصها لأحاسيس الشفقة على النموذج النبوي، فالروايات الصحيحة التي تؤكد دعاء الرسول (ﷺ) يوم الحشر (أمتي أمتي)، وسماع ولادته نداءه (أمتي أمتي)، فضلاً عمّا عُرف عنه من الأخلاق المرصعة بالشفقة والرحمة، تعد أكبر دليل على رأفته (ﷺ) ورحمته وشفقته على أمته.[٧٠] وقد اعتبر النورسي هذه الشفقة التي أظهرها الرسول (ﷺ) مندرجة في المهمة النبوية رغم أنها مادة جزئية خاصة ضمن مهمته النبوية العامة الشاملة، مقدمًا بهذا الخصوص نموذج شفقته عليه الصلاة والسلام تجاه حفيديه الحسن والحسين رضي الله عنهما. يقول في هذا الصدد: "إن إظهار الرسول (ﷺ) شفقة فائقة وأهمية بالغة للحسن والحسين رضي الله عنهما ليست هي شفقة فطرية ومحبة نابعة من الإحساس بصلة القربى وحدها، بل إنها نابعة أيضًا من أنهما بداية سلسلة نورانية تتولى مهمة من مهمات النبوة العظيمة"،[٧١] وبهذا الأسلوب التشخيصي يدمج النورسي قيمة الشفقة ضمن المهمات التي كلف النبي (ﷺ) بترسيخ قيمها في المجتمع.

وبعد النموذج النبوي، ينتقل النورسي إلى تشخيص الشفقة في نموذج الأمومة، فيعتبر النساء (رائدات الشفقة وبطلات الحنان)،[٧٢] فالشفقة عندهن خميرة وجوهر خاص،[٧٣] وهي عند الأم على وجه الخصوص وظيفة فطرية تقوم على تضحية وفداء دون مقابل. وقد ضرب أمثلة تشخيصية من خلال إيراد نموذج والدته التي تلقى على يديها أول درس في الشفقة والرأفة والتضحية. ولم يغفل إيراد نماذج تشخيصية حتى من فصيل الحيوانات التي تظهر بطولة نادرة في الشفقة والتضحية، فالدجاجة – رغم ضعفها – (تهاجم الأسد وتفدي بروحها حفاظًا على فراخها الصغار).[٧٤]

٣/٣- أسلوب الممارسة:

من خلال قراءة متأنية في رسائل النور، يمكن أن نستخرج سؤالين على الأقل من الراجح أنهما راودا بديع الزمان النورسي وهو يطرح منهجه لترسيخ قيم الشفقة والتعاون.

أ- ما هي الأطراف التي تستحق التعامل بالشفقة والتعاون ؟

ب- ما هي الخطوط الحمراء التي لا ينبغي تجاوزها حتى لا تتحول الشفقة والتعاون إلى نقيضهما ؟

شكل السؤالان معًا فرصة لمؤلف رسائل النور للتمييز بين المنهج الإيجابي الذي ينجح في اختيار الجهات التي تستحق التعامل بالشفقة والتعاون، وتلك التي يعد التعامل معها خطئًا منهجيًا فادحًا.

في هذا المنحى، يقرّر النورسي استنادًا إلى الآية الكريمة (وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا)،[٧٥] أن الأبوين يعتبران أكثر الأطراف التي تستحق الشفقة والمساعدة، خاصةً إذا كانا طاعنين في السن. ويستنبط من الآية السالفة الذكر أن تطبيقها يجلب لهما خمسة أنواع من الرحمة وهي الإحسان والرأفة والقول الحسن، وخفض جناح الذل والدعاء بالرحمة. بيد أنه يجتهد فيرى في الآية الكريمة دعوة شاملة للشفقة والرأفة لا تنحصر في الوالدين فحسب، بل تشمل الأقرباء أيضًا كالأخ، والعم، والعمّة، والخال، والخالة، الذين هم بمثابة الأم. لكنه يجعل العجز والمرض والإعاقة مقاييس يتم بموجبها إدراج هؤلاء في خانة مستحقي الشفقة.

وبناءً على العملية الجدلية التي تستلزم الشفقة المتبادلة، لم يغفل بديع الزمان شفقة الأمهات والآباء حيال أبنائهم.[٧٦] وفي هذا الصدد لم يخف قلقه تجاه الخلافات التي تحصل أحيانًا بين الآباء وأبنائهم بسبب اختلاف مشاربهما الفكرية، وما يتمخض عن ذلك من انقطاع حبل الشفقة، وهو ما نستشفه من خلال رسالة وردت عليه من مدينة "أينبولي" حول خلاف وقع بين أب وابنه بسبب عدم الانسجام الفكري بينهما، لذلك أوضح منهجه في مثل هذه النازلة بقوله: "فالولد لا بدّ له من كسب رضا الوالد حتى ولو كان غير محق، وعلى الوالد أن لا يحرم ولده من رأفته وإن كان عاقًا به"،[٧٧]

دورية إلكترونية .مُحكّمة .ربع سنوية ISSN: 2090 – 0449

بل طالب من أجل تثبيت قيم الشفقة والتعاون داخل الأسرة أن لا يجعلا الأمور الدنيوية مثار خلاف بينهما، وأن يتحليا (بما تقتضيه الأبوة من الاحترام والرحمة).[٧٨] ولم يجعل النورسي دائرة الشفقة تحد بحدود الأسرة الصغيرة، بل مطّط مساحتها لتشمل الأقارب والعشيرة والملة والجنس وكافة المخلوقات. وممّا قاله في هذا الصدد: "اعلم أن لكل أحد علاقات بالمحبة والشفقة مع أقاربه ثم مع أفراد عشيرته ثم مع أفراد ملته، ثم مع أفراد نوعه ثم مع أبناء جنسه ثم مع أجزاء الكائنات بحيث يمكن أن يتألم بمصائبهم ويتلذذ بسعاداتهم وإن لم يشعر"،[٧٩] بمعنى أن النظرية النورية تجعل قيمة الشفقة تتجزأ إلى مجموعة من الدوائر مركزها دائرة الأسرة الصغيرة، وصولاً إلى أبعد الأفراد في العالم، بل تبلغ دائرة الحيوانات ومختلف الكائنات،[٨٠] لكن الدائرة الرئيسية تبقى هي دائرة الأم التي هي ينبوع الشفقة والحنان.[٨١]

داخل هذه الدوائر، يحدّد بديع الزمان بعض الخانات التي تحمل ميزات خاصة تستدعي التعامل معها بكثير من الشفقة، وتتمثل في العجز والمرض والإعاقة،[٨٢] لكنه يركّز على الشيخوخة باعتبارها جامعة لهذه المواصفات والأعراض السلبية في آخر العمر، لذلك فهو يخصص فقرات من رسائل النور ليعطي الأمل للشيوخ، ويبين لهم أن الرحمة الإلهية وشفقة المجتمع تجعلهم يعيشون راضين مطمئنين، بعيدًا عن شبح اليأس والهم والحزن، بل يحبّب لهم هذه المرحلة من العمر باعتبارها تجليًا من التجليات الإلهية (للشفقة والرحمة والعناية).[٨٣] وفي نفس المنحى تركز رسائل النور على النساء العجائز اللائي يعتبرهن أكثر مدعاة للشفقة بحكم تكوينهن النفسي والعاطفي المرهف، فهن (أكثر حاجة من غيرهن إلى ما في الدين من سلوان ونور يفيض بالشفقة وإلى التفاتة رحمانية تتقطر بالرحمة).[٨٤]

ويتسع المنظور النوري للأطراف الجديرة بالشفقة لتشمل ضحايا الحروب والأبرياء، وكل مَنْ يناضل من أجل حقوق الإنسان وإسعاد البشرية حتى ولو كان من أهل الباطل أو ينتمي إلى ديانات أخرى.[٨٥] وبكثير من الدقة، يذهب النورسي إلى الدعوة بعدم حرمان الشخص الذي له عيب واحد مقابل صفات أخرى بريئة لا تشملها العيوب، فمثل هذا الشخص ينبغي أن يحاسب على صفة عيبه، ويشفق عليه فيما دون ذلك العيب، معتبرًا ذلك من العدالة الإلهية. يقول في هذا المعنى: "على الإنسان أن يشفق على ذلك الشخص المالك لصفات بريئة كثيرة أخرى ولا يعتدي عليه".[٨٦]

أما بالنسبة للتعاون مع "الآخر"، فالنورسي يعطي الضوء الأخضر لتعاون المسلمين مع مَنْ يسميهم (النصرانيون المسلمون)، وهم الجماعة التي تسعى للتوفيق بين الدين الحقيقي للنبي عيسى عليه السلام، وتناقض توجهاتها ما تهدف إليه عناصر الفلسفة المادية التي تسعى إلى تدمير المدنية. فأسلوب التعاون عند النورسي يقوم على أساس النيات السليمة والمحبة والتآخي المتبادل بين طرفي التعاون، ولا ينبغي أن يقوم بدافع المصلحة كأن يسعى إلى التعاون حتى ولو مع جهة دنيئة وضيعة كما يفعل الضالون والغافلون.[٨٧]

وفي الوقت نفسه، دعا النورسي إلى تكافؤ فرص طرفي التعاون، وحذّر من السلوك السيئ الذي ينطلق من قاعدة (اكتسب أنت لآكل أنا، واتعب أنت لأستريح أنا)،[٨٨] فمثل هذه القاعدة تجعل أي ضرب من ضروب التعاون يؤول حتمًا إلى الفشل، لأنها تقوم على مبدأ الاستغلال والنفعية وطغيان الأنانية. وفي الاتجاه المقابل، حددت رسائل النور الأطراف التي لا تستحق التعامل بالشفقة أو إقامة أي تعاون معها حتى لا تتحول قيم الشفقة والتعاون إلى نقيضها، فيشكل ذلك خطأً منهجيًا، ويمكن حصر تلك الأطراف في صنفين:

الأول: لا شفقة على أهل الضلالة، وهم الذين يصفهم النورسي بالظالمين أصحاب اليد الطولى في إشعال نار الحروب العالمية، وما تمخض عنها من ويلات ونكبات أتت على الأخضر واليابس، فضلاً عن الجبابرة الذين يشعلون لهيب الفتن ويقتلون الأبرياء،[٨٩] فهذا الصنف من البشر لا يستحق ذرة من الشفقة، وإلا تحولت هذه الأخيرة إلى نقيضها، بل إلى خطأ جسيم في تطبيق الشفقة: (فالذي يرأف ويعطف على تجرع الكافر صنوف العذاب في النار، يعني أنه لا يرأف ولا يعطف على أبرياء لا يحصيهم العدد ممن هو أليق بالرأفة وأجدر بالعطف، بل ولا يشفق عليهم).[٩٠] أما التعاون مع هذا الصنف من أهل الضلالة، فإن النورسي يضع أيضًا خطًا أحمر يقضي بعدم التعاون معهم. فإذا كان قد أجاز التعاون مع الصنف الذي سماه (النصرانيون المسلمون) -كما سلف الذكر- فإنه رأى أن من الخطأ تمرير أي شكل من أشكال التعاون مع الدول الأوروبية، الطامعة في خيرات العالم الإسلامي، الساعية إلى إفساد عقيدته.[٩١]

الثاني: لا شفقة على مَنْ رضي بالضرر ولو كان من المسلمين. وقد استند في ذلك على دستور الشريعة الذي ينطلق من قاعدة (الراضي بالضرر لا يُنظر إليه)، بمعنى أن الذي رضي لنفسه بالضرر فلا ينظر إليه بعين العطف والشفقة.[٩٢]

الإفراط في الشفقة أو إساءة استعمالها مع مَنْ يستحقها:

بحكم أن بديع الزمان كان هو نفسه منبعًا للشفقة، فقد أدرك حدودها وطالب بعدم الغلو والإفراط فيها، وعدم تجاوز درجة الرحمة الإلهية، وإلا (فإنها ليست رحمة ولا رأفة)، فتتحول آنذاك إلى نقيضها، أي إلى مرض روحي يفضي إلى الضلالة والإلحاد.[٩٣] وبالمثل، يُحذر بديع الزمان من خطأ منهجي في تطبيق الشفقة على الآخر، بإساءة استخدامها، خاصةً في عصر اعتبره (عصر حب الدنيا)،[٩٤] ويسوق مثالاً يبين فيه صدق ما يذهب إليه، من خلال نموذج الأم التي تشفق على ولدها وترأف عليه، فتنفق ما لديها من أموال وممتلكات لكي تتمكن من ابتعاثه ضمن البعثات الدراسية نحو أوروبا، دون وعي بخطورة مسلكها المسيء لمبدأ الشفقة، فهي تقذف بابنها إلى مهالك الخطر بحرمانه بقسط وافر من التربية

دورية إلكترونية .مُحكّمة .ربع سنوية
ISSN: 2090 – 0449

الإسلامية، فيتزعزع إيمانه، ويصبح - نتيجة لذلك - قاصرًا في حق أمه، ولا يبالي بشفقتها، فتتحول (الشفقة الحقيقية الموهوبة) على حد تعبير النورسي[٩٥] إلى شفقة مائعة، مناقضة لأهدافها، منسلخة عن أصولها بعيدة عن خلفيتها الدينية التي (لا تعدل قطعًا زجاجية فانية).[٩٦]

خاتِمَة

من حصاد هذا البحث؛ يستشف أن قيم الشفقة والتعاون في رسائل النور، وردت في سياق معالجة منهجية تقاسمتها ثلاث أنساق، وهي النسق الإيماني والنسق التكاملي، ثم النسق الدعوي التطبيقي، وبذلك تفردت عن غيرها من التحليلات بثنائية عمق التفكير، وبساطة الرؤية في نفس الوقت، ومن ثَمَّ تميزت بالبعد عن المفاهيم الفلسفية المضببة لتصل إلى الأفهام والمدارك عن طريق الممارسة والتطبيق، مما جعلها ترقى إلى خانة القيم الحضارية التي يحتاجها العالم المعاصر.

الهَوامِشُ:

(١) **اللمعات**، موقع النور، (*www.nuronline.com/kulliat.php*)، ص٣٠٧. وقد ورد ذكر كتب الكليات الواردة في هذا الموقع موثقة في الإحالات إما متبوعة بعبارة: الموقع النوري عند ذكر المصدر لأول مرة، وإما بدون ذكر اسم الموقع عندما يتكرر ذكر الكتاب.

(٢) **ملحق أميرداغ**، موقع النور، ص٢٤٤.

(٣) **صيقل الإسلام**، موقع النور، ص٤٩٢.

(٤) **ملحق قسطموني**، موقع النور، ص١٥٢.

(٥) وهو ما يعكسه قول النورسي: "إن جميع ما في رسائل النور (الكلمات) و(المكتوبات) النورية، إنما هي لحاجة الزمان، وأن لها المقدرة على كل صنف من أصناف أرباب الدين، بل إلزام الملحدين بشرط ألا يكونوا عنيدين، وموغلين في العناد". أنظر: **ملحق بارلا**، ترجمة: د. إحسان قاسم، دار سولزر للنشر، (ط٢)، القاهرة ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م، ص٢٨.

(٦) **ملحق أميرداغ**، ص٣٠.

(٧) **ملحق بارلا**، ص ١٣٠- ملحق قسطموني، ص١٥٠.

(٨) **سيرة ذاتية**، إعداد وترجمة: د. إحسان قاسم، دار سوزلر للنشر (ط٢)، القاهرة ١٤١٩ هـ/ ١٩٩٨م، ص ٣١٣.

(٩) المصدر نفسه والصفحة.

(١٠) **سيرة ذاتية**، موقع النور، ص١٧٥.

(١١) **المكتوبات**، موقع النور، ص ٣٧.

(١٢) **اللمعات**، ص ١٩٦.

(١٣) **سيرة ذاتية**، ص١٧٧.

(١٤) **ملحق قسطموني**، ص ٢٢١.

(١٥) **إشارات الإعجاز**، موقع النور، ص ٢٩-٦٤.

(١٦) **المكتوبات**، ص ٣٦.

(١٧) نفسه، ص ٥٨٧.

(١٨) **صيقل الإسلام**، ص ٥٠٣ - ٥٠٤.

(١٩) ولقد كرمنا... القرآن الكريم/ **سورة الإسراء**، أية (٧٠).

(٢٠) **المكتوبات**، ص٩٩.

(٢١) **سيرة ذاتية**، ص١٧٧.

(٢٢) **المكتوبات**، ص٥٨٧.

(٢٣) ورد ذكر الظلم وسوء عاقبته في القرآن الكريم (١٥٤) مرة، نذكر من بينها قول الله تعالى: (فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ)، **سورة النمل**، آية (٥٢).

(٢٤) **ملحق أميرداغ**، ص ٢٤٤.

(٢٥) القرآن الكريم/ **سورة الأنعام**، آية (١٦٤).

(٢٦) **ملحق أميرداغ**، ص ٢٤٤.

(٢٧) **المكتوبات**، ص ٣٦- ٣٧.

(٢٨) **المكتوبات**، ص٣٧، ٥٨٧.

(٢٩) **صيقل الإسلام**، ص٥٠٩.

(٣٠) القرآن الكريم/ **سورة الحجرات**، آية (١٣).

(٣١) **المكتوبات**، ترجمة د. إحسان قاسم، دار سولزر للنشر، (ط٢)، القاهرة ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م، ص ٤١٣.

(٣٢) مسلم، أبو الحسين مسلم بن حجاج النيسابوري (ت ٢٦١هـ)، **صحيح مسلم**، اعتنى به وراجعه هيثم خليفة الطعيمي، المكتبة العصرية، بيروت ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣م، حديث رقم ٣٢١، ص ٦٤.

دورية إلكترونية .مُحكّمة .ربع سنوية
ISSN: 2090 – 0449

(٣٣) **المكتوبات**، وسيرمز إليها برمز (ن.و)، أي النشر الورقي تمييزًا لها عن نفس المصادر التي استعملنا فيها الكليات المنشورة في موقع النور الإلكتروني، ص٤١٤.
(٣٤) نفسه، ص ٣٤١ (ن.و).
(٣٥) **المثنوي العربي النوري**، ترجمة د. إحسان قاسم، دار سولزر للنشر، (ط١)، القاهرة ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م، ص١٥٨(ط).
(٣٦) نفسه، ص١٥٨.
(٣٧) **اللمعات**، ص٢٣٥.
(٣٨) **المثنوي العربي**، موقع النور، ص٤٧.
(٣٩) **صيقل الإسلام**، ترجمة د. إحسان قاسم، دار سولزر للنشر، (ط٢)، القاهرة ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م، ص٥٣.
(٤٠) **اللمعات**، ترجمة د. إحسان قاسم، دار سولزر للنشر، (ط٢)، القاهرة ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م، ص٥٢٣.
(٤١) **المثنوي العربي النوري**، ص٣١٩ – الشعاعات، الموقع النوري، ص١٧٥.
(٤٢) **المثنوي العربي النوري**، ص٣٢١.
(٤٣) القرآن الكريم/ **سورة النساء**، آية (٢٨).
(٤٤) **المثنوي العربي النوري**، ص٤٤٤.
(٤٥) المرجع نفسه، ص٣٢٧.
(٤٦) **المكتوبات**، ص٢٧٢.
(٤٧) **ملحق قسطموني**، ص١٥٢.
(٤٨) **صيقل الإسلام**، ص٥٠٥.
(٤٩) **المثنوي العربي النوري**، ص٤٠٧.
(٥٠) **صيقل الإسلام**، ص٤٩٢.
(٥١) **سيرة ذاتية**، ص٣٤٩.
(٥٢) **الشعاعات**، ص١٧٥.
(٥٣) **اللمعات**، ص ٢٣٤.
(٥٤) المرجع نفسه، ص٢٣٥.
(٥٥) القرآن الكريم/ **سورة الأنفال**، آية (٤٦).
(٥٦) القرآن الكريم/ **سورة المائدة**، آية (٢).
(٥٧) **اللمعات**، ص٢٣٤.
(٥٨) **اللمعات**، ص٢٣٥.
(٥٩) **الشعاعات**، ص٣٦٤.
(٦٠) **سيرة ذاتية**، ص٣٥٢.
(٦١) المرجع نفسه، ص ٣٤٩.
(٦٢) **إشارات الإعجاز**، ص٧٩.
(٦٣) **المكتوبات**، ص٣٣٩.
(٦٤) **اللمعات**، ص٢٣٤ – سيرة ذاتية، ص٣٥١.
(٦٥) **الملاحق في فقه دعوة النور**، ترجمة د. إحسان قاسم، دار سولزر للنشر، (ط٢)، القاهرة ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م، **ملحق أميرداغ**، ص٢٦٤.
(٦٦) **ملحق قسطموني**، ص١٠٠- سيرة ذاتية، ص٣١٣.
(٦٧) **المكتوبات**، ص٣٧٤.
(٦٨) **اللمعات**، (ن.و)، ص ٢٤٣.
(٦٩) **سيرة ذاتية**، ص٥٩.
(٧٠) **اللمعات**، ص٢٠٩.
(٧١) **اللمعات**، ص٣٠.
(٧٢) المرجع نفسه، ص٣٠٧.
(٧٣) **ملحق أميرداغ**، ص٢٤٦.
(٧٤) **اللمعات**، ص٣٠٩.
(٧٥) القرآن الكريم/ **سورة الإسراء**، آية ٢٣ - ٢٥.
(٧٦) **المكتوبات**، ص٣٣٥.
(٧٧) **ملحق أميرداغ**، ص ٢٧٤.
(٧٨) المصدر نفسه والصفحة.
(٧٩) **المثنوي العربي النوري**، ص٤٤٨.
(٨٠) **المكتوبات**، ص٣٣٥.
(٨١) **المثنوي العربي النوري**، ص ٤٤٨.
(٨٢) **المكتوبات**، ص٣٣٥.
(٨٣) المرجع نفسه، ص٣٤٩.
(٨٤) **ملحق قسطموني**، ص١٥٣.
(٨٥) **سيرة ذاتية**، ص٣١٢ - ٣١٣.
(٨٦) **صيقل الإسلام**، ص٣٤٥.
(٨٧) **اللمعات**، ص٢٣٥- ٢٣٦.
(٨٨) **إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز**، ترجمة د. إحسان قاسم، دار سولزر للنشر، (ط٢)، القاهرة ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م، ٥٤.
(٨٩) سيرة ذاتية، ص٣١٢.
(٩٠) **ملحق قسطموني**، ص١٢٤.
(٩١) **المكتوبات**، ص٤١٥ (ن.و).
(٩٢) **ملحق أميرداغ**، ص ٢٤٨.
(٩٣) **سيرة ذاتية**، ص٣١٠.
(٩٤) **ملحق قسطموني**، ص ١٥٦.
(٩٥) **اللمعات**، ص٣٠٨.
(٩٦) المرجع نفسه، ص٣٠٩.

دورية إلكترونية .مُحكّمة .ربع سنوية
ISSN: 2090 – 0449